التاريخ أعاد نفسه والجغرافيا كذلك ..

مالك بن الريب والشيخ مسلط الرعوجي يجتمعان بالفروسية والشعر والمكان

الشيخ مسلط بن فالح بن متديل الهذال العنزي الملقب بالرعوجي عاش في القرن الثاني عشر الهجري عاصر الشاعر المشهور محسن الهزاني توفي عام 1185 هجري وفي احدى المعارك التي خاضها ، فاصيب فنقله رفاقه الى بلدة الحريق لمعالجته بها وهناك تقابل مع الشاعر محسن الهزاني وطلب منه ان يرثيه بعد مماته فوعده محسن بذالك واسمعه قصيدته الذي يرثي بها نفسه كما لو التاريخ يعيد نفسه مرة وتعود بصورة مالك بن الريب وصوته حين عاد وهو واضع الحجر الاساس لمحافظة سمنان الإيرانية نسبة إلى مسقط راسه في قرية سمنان في محافظة الزلفي ، وفي عودته بعد الغزو وبينما هم في طريق العودة إلى «وادي الغضا» في نجد وهو مسكن اهله – وهي نفس المنطقة التي مات بها شاعرنا وفارسنا الشيخ محسن الرعوجي كذلك وتحديدا في منطقة الحريق المجاورة للزلفي – مرض مرضاً شديدا او يقال انه لسعته افعى وهو في القيلولة فسرى السم في عروقه وأحس بالموت فقال قصيدة عظيمة وخالدة ، يرثي فيها نفسه، وصارت تعرف ببكائية مالك بن الريب التميمي :

ألا لَيتَ شِعري هَل أبيتَنَّ ليلةً
بِجَنبِ الغَضا ، أُزجي القِلاصَ النَّواجيا

فَليتَ الغَضا لم يقطعِ الركبُ عَرضَهُ
وليتَ الغَضا ماشى الركابَ لَياليا

لقد كانَ في أهلِ الغضا، لو دنا الغضا
مـزارٌ، ولكـنَّ الغضا ليْسَ دانيا
ألـمْ تَـرَني بِـعتُ الضَّـلالةَ بالهُدى
وَأصْبَحْتُ في جيشِ ابنِ عفّانَ غازيا
دَعاني الهوى من أهلِ وُدّي وصُحبتي
بِـذي الطَّبَسَيْـنِ ، فالتفتُّ وَرائيا

أجَبْـتُ الهَـوى لَـمّا دَعاني بِـزَفْرَةٍ
تَقَنَّعْتُ مِنْها ، أنْ أُلامَ ، رِدائيا
لَعَمْري لئن غالَتْ خُراسانُ هامَتي
لقد كُنْتُ عن بابَيْ خراسانَ نائيا
فلِلّه دَرّي يَـوْمَ أتْـرُكُ طائعاً
بَنـيّ بأعلى الرَّقْمَتَيْنِ، وماليا
ودَرُّ الظِّباءِ السّانحاتِ عَشيَّةً
يُخَبِّـرْنَ أنّـي هـالكٌ مَـنْ وَرائـيـا
وَدَرُّ كَبيـرَيَّ اللَّـذيـن كِـلاهُـمـا
عَلَيّ شَفيقٌ ، ناصِحٌ ، قد نَهانيا

ودَرُّ الهوى من حَيْثُ يدعو صِحابَهُ
ودَرُّ لجاجاتي ، ودَرُّ انتهائيا
تَـذَكَّـرْتُ من يَبْكي عليّ ، فلمْ أجِـدْ
سِوى السَّيْفِ والرّمحِ الرُّدَيْنيِّ باكيا
وَأشْـقَـرَ خِـنْـذيـذٍ يَـجُرُّ عِنانَـهُ
إلى الماءِ، لم يَتْرُكْ لَـهُ الدهرُ ساقيا

ولَكـنْ بِـأطْـرافِ السُّمَيْنَةِ نِسْـوَةٌ
عَـزيـزٌ عَلَيْـهِـنَّ العَشـيّةَ ما بِيا
صَـريعٌ على أيْـدي الـرِّجالِ بِقَفْرَةٍ
يُسَـوّوْنَ قَبْري، حَيْثُ حُمّ قَضائيا
ولَمّـا تَـراءَتْ عِنْـدَ مَـرْوٍ مَنيّتي
وَخَـلّ بِها جِسْمي، وَحانَتْ وَفاتِيا
أقـولُ لأصْحابي ارْفَعـوني لأنّني
يَقَـرُّ بِعَيْنَي أنْ سُـهَيْـلٌ بَـدا لِيا
فيا صاحِبَيْ رحلي ، دنا المَوْتُ، فانْزِلا
بِـرابِيَـةٍ ، إنّـي مُـقيـمٌ لَياليا
أقيما علـيّ الـيَـوْمَ ، أو بَعْـضَ ليلةٍ
ولا تُعْجِـلانـي قـد تَـبَيَّـنَ ما بِيا
وَقوما ، إذا ما اسْتُلّ روحي ، فهيّئا
لِـيَ القبرَ والأكفـانَ، ثُـمّ ابكيا لِيا
وخُطّا بِأطْـرافِ الأسِـنّةِ مَضْجَعي
ورُدّا على عَيْنَـيَّ فَضْـلَ رِدائِيا
ولا تَحْسُـدانـي ، بـارَكَ اللّـهُ فيكما
من الأرْضِ ذاتَ العَرْضِ أنْ تُوسِعا لِيا
خُـذاني ، فجُـرّاني بِـبُرْدي إليكما
فقد كُنْتُ ، قبلَ اليوم ، صَعْباً قِيادِيا
فقد كُنْتُ عطّافاً، إذا الخيلُ أدْبَرَتْ
سَريعاً لدى الهَيْجا، إلى مَنْ دَعانيا
وقد كُنْتُ محموداً لدى الزّادِ والقِرى
وعنْ شَتْمِ ابنِ العَمِّ والجارِ وانيا
وَقد كُنْتُ صَبّاراً على القِرْنِ في الوَغى
ثَقيلاً على الأعـداءِ، عَضْباً لِسانيا
وطَـوْراً تراني في ظِلالٍ وَمَجْمَعٍ
وَطَـوْراً تَراني ، والعِتاقُ رِكابِيا
وَقوما على بِئْرِ الشُّبَيْكِ ، فأسمِعا
بها الوَحْشَ والبيضَ الحِسانَ الرَّوانيا
بِـأنّكُـما خَلّفْتُمـانـي بِـقَـفْـرَةٍ
تُهيلُ عليّ الـرّيـحُ فيها السّوافيا

ولا تَنْسَـيا عَهْدي ، خَليليّ ، إنّني
تَقَطّعُ وصـالي وَتَبْلى عِظامِيا

فلنْ يَعْـدَمَ الـوالونَ بيتاً يُجِنّني
ولَـنْ يَـعْـدَمَ المـيراثُ منّي المَواليا
يقولون :لا تَبْعَدْ ، وهُم يدفِنونني
وأيْـنَ مَـكانُ البُعْـدِ إلاّ مَكانيا؟
غَـداةَ غَـدٍ، يا لَـهْفَ نَفْسي على غدٍ
إذا أدْلَجـوا عنّي ، وخُلّفْتُ ثاويا
وأصْـبَـحَ مالي ، من طَريفٍ ، وتالدٍ
لِـغَـيْـري وكـانَ المـالُ بالأمسِ ماليا
فيا لَيْتَ شعري، هل تَغيّرَتِ الرَّحى
رَحى الحَرْبِ،أو أضْحتْ بِفَلْجٍ كما هِيا
إذا القَـوْمُ حَلّوها جَميعاً، وأنْزَلوا
لها بَقَـراً حُـمَّ العُـيـونِ، سَواجِيا
وَعِـيْنٌ وَقَـدْ كـانَ الظَّـلامُ يَجُنّها
يَسُفْنَ الخُـزامى نَوْرَها والأقاحيا
وَهَـلْ تَرَكَ العيسُ المَراقيلُ بالضُّحى
تَعاليهـا تَعلو المُتـونَ القَيافِيا
إذا عَصَـبَ الـرُّكْبانُ بَـيْنَ عُنَيْزةٍ
وبُـولانَ ، عاجُوا المُنْقِياتِ المَهارِيا

ويـا لَـيْتَ شعري هل بَكَتْ أمُّ مالكٍ
كما كُنْـتُ لَـوْ عـالَوا نَعِيَّكَ باكيا
إذا مُـتُّ فاعْتادي القُبُورَ ، وسَلّمي
على الرَّيمِ ، أُسْقيتِ الغَمامَ الغَوادِيا
تَـرَيْ جَدَثـاً قد جَـرّتِ الرّيحُ فوقَهُ
غُبـاراً كلـونِ القَسْطَـلانيّ هابِيا
رَهينَـةَ أحْجـارٍ وتُـرْبٍ تَضَمّنَتْ
قَـرارَتُـها مِنّـي العِظـامَ البَوالِيا

فَيـا راكِبـاً إمّـا عَـرَضْـتَ فَبَلِّغَنْ
بَني مالكٍ والـرَّيْـبِ أنْ لا تَلاقِيا

وَبَلّـغْ أخي عِمرانَ بُـرْدي ومِئْـزَري
وبَلّـغْ عَجُوزي اليومَ أنْ لا تَدانِيا
وَسَلّـمْ على شَيخَيَّ مِنّي كِلَيْهِما
وبَلّـغْ كَثيراً وابْـنَ عَمّي وخالِيا
وعَطّلْ قَلوصي في الرِّكـابِ، فإنّها
سَتَـبْـرُدُ أكبـاداً وتُبكي بَواكِيا

أُقَلّـبُ طَرْفي فَـوْقَ رَحْلـي، فلا أرى
بِـهِ مِـنْ عُيـونِ المُؤْنِسـاتِ مُراعِيا
وبالـرَّمْلِ مِنّي نِسْـوَةٌ لو شَهِدْنَني
بَكَيْنَ وَفَـدّيْنَ الطَّـبيبَ المُداوِيا
فَمِنْهُـنّ أُمّـي، وابْنَتاها، وخالتي
وبـاكِـيَةٌ أُخْـرى تَهيـجُ البَواكِيا
ومـا كـانَ عَهْـدُ الرَّمْلِ منّي وأهلُهُ
ذَميمـاً ، ولا بـالـرَّمْلِ وَدّعْتُ قالِيا

وكذلك الشيخ الرعوجي الذي رثى نفسه حياً بقصيدة عجيبة فقال :

قال الرعوجي مسلطا واف الاشبار
عصر الخميس وحفرتي جددوها
شدو وخلوني على دمشت النار
وحسايفي حتى عيالي خذوها
يا حيف تسيو هدتي هي والاذكار
ومواقف صعبه عليهم نسوها
عقب العقاب الصيرمي طفيت النار
ولو جمعو كل الحطب ماوقدوها
ماغبطهم الا غب طيحات الامطار
من قفرة تبت الثريا رعوها
ياحيف ياتوضا انخوتي عن الجار
ويفت المويهي بالغنم سرحوها
ما جوعت ضيف ولا زعلت جار
لوا حسايف كانهم زعلوها
لابدما تذكر العولي وما صار
الله يغضبهم ان كان اغضبوها
ياما حلا عشب الخزاما بالاقفار
في سهلة وعيال وايل حموها
الخيل تذكرني ابساعات الادبار
ان جفلو صم الرمك واعجلوها
بمصافق الابطال بالموقف الحار
توضا على كل النمس عززوها
وانا ابقبر صفصفوا فوقه احجار
ونصايبي في فوق قبري بنوها
وسوالفي تبقى صعيبات وعسار
تفـخـر بهـا وايل الـى ردوهـا

وبعد وفاته رثاه الشاعر محسن الهزاني فقال:

ياراكبين من فوق مثل السبرتات
حمرا فتات عن لقاحا معفات
تلفي الكواعب من بنات العمارات
يبكن اخو توضا على راس ماطال
يبكن بدم ليس بالدمع يخلط
يبكن زبون العندليات مسلط
والله فلا مثله على الخيل يقلط
ولا نقلن الخيل مثله برجال
بالبيض كبن الحلي والعشارق
وابكن اخو توضا امروي المطارق
هو حرزها وان جللوها المعارق
ولحق الوسيق ورد الاول على التال
عليه انا موقا ثلاثة عشر يوم
لا لذلي زادا ولا طابلي نوم
من يوم جاني عن حجا كل مضيوم
سهم المنايا مسلط واف الافعال
لكن في كبدي لهب واهج القيض
على الذي مالا اقلوب العدا غيض
يفداه من لبس السراويل والبيض
ليت المنايا تندفع عنه بالمال
من عقب مسلط ياهل الخيل تكفون
لا في العنوز ولا يعد في ذوي عون
كم سربة مهيوبة في ضحى الكون
فرق شعيها والغبو عنه ينزال

الى ان قال :

يوم البوادي تشعف البوش تشعيف
عيا عليها مسلط ماض الافعال
لوا عشيري مسلطا حامي الفود
راقي حجا العليا ذرا كل مطهود
والي اعتلا منفوق ماتقحم العود
عيا على تال الضعن زين الادلال
لوا عشيري ليتني ما بكيته
لو في يدي حل وعقد شريته
وبكل ما تملك يميني فديته
بالبوش والفرس المضاليل والمال